مفهوم الاتصال وعلاقته بمفاهيم أخرى

المحور الأول: تحديد مفهوم الاتصال

1) تعريف الاتصال

2) عناصر العملية الاتصالية

3) خصائص الاتصال

4) وظائف الاتصال

5) أشكال الاتصال

6) عوائق الاتصال

7) مقومات الاتصال الفعال

8) مفاهيم مشابهة للاتصال

- **مفهوم الإعلام**
- **مفهوم الدعاية**
- **مفهوم الإشاعة**
- **مفهوم الإعلان**

1) تعريف الاتصال:

يطلق على عصرنا الحالي "عصر الاتصال" بفضل الثورة التكنولوجية التي تبلورت معالمها واتضحت في منتصف القرن العشرين، لذا يمثل الاتصال لب العلاقات الاجتماعية وبقدر نجاح الفرد في الاتصال مع الآخرين بقدر نجاحه في الحياة، حيث ينعكس ذلك على صحته النفسية والاجتماعية، وبقدر نجاح الأمم في تواصلها مع ماضيها بتراثه وثقافته وفي الاتصال مع الأمم الأخرى، بقدر نجاحها في البقاء والاستمرارية والتطور.

وعليه فكلمة اتصال مشتقة – لغويا– من كلمة تواصل، والتواصل في اللغة من الوصل، وهو يعني ربط شيء بشيء آخر ويعني أيضا أن الشخص قد ربط ما عنده بما عند الآخر، وليتحقق ذلك لابد أن يكون لدى فردين شيء واحد من الفكر أو الإحساس، وأن تكون هناك لغة مشتركة بينهما.

ومصطلح (communication) مشتق من الكلمة اللاتينية (communis) بمعنى مشترك أو شائع.

يعرف الاتصال بأنه العملية التي بها يتفاعل المرسلون والمستقبلون للرسائل في سياقات اجتماعية معينة، فهو ان تستمع إلى غيرك وتفهمه، وذلك لكي يفهمك بشكل أفضل، فهو عملية تبادل بين طرفين ولكل طرف شيء ما يقدمه للآخر.

كلمة اتصال وفقا **لجورج لندبرج (George Lundberg)** تستخدم لتشير إلى التفاعل بواسطة العلامات والرموز، وتكون الرموز عبارة عن حركات أو صور أو لغة أو أي شيء آخر تعمل كمنبه للسلوك، أي أن الاتصال هو نوع من التفاعل الذي يحدث بواسطة الرموز.

" الاتصال هو عملية نقل وتبادل للمعلومات والأفكار والإرشادات والمهارات والميول والقيم من فرد إلى آخر، أو من فرد إلى حيوان أو من فرد إلى آلة أو من مجموعة من الأفراد إلى مجموعة اخرى أو من آلة إلى آلة أخرى، وذلك عن طريق وسيلة أو أكثر من وسائل الاتصال، بهدف توجيه أو تعديل أو تغيير سلوك الآخرين نحو الاتجاهات المرغوبة".

وقد تطور الاتصال مع تطور الحياة والعلوم في الحضارات الإنسانية، ويمكننا أن نقسم الحضارات في تتابعها على أساس اتصال كما يلي:

1- الحضارة السمعية الشفهية: أي عندما كان الاتصال يعتمد على الأصوات والإشارات والحركات والأشياء ذات المعاني المشتركة.

2- الحضارة الكتابية: وهي المرحلة التي توصل فيها الانسان إلى الكتابة واستعمالها في الاتصال بالآخرين، أي منذ حوالي أربعة آلاف سنة قبل الميلاد.

3- الحضارة الطباعية: وبدأت بابتكار الطباعة بالحروف المتفرقة في منتصف القرن الخامس عشر ميلادي، من خلال توصل العالم الألماني ***"يوهان غوتمبرغ"*** في مدينة "مينز" الألمانية إلى اختراع الطابعة عام 1436م، حيث وفر هذا الاختراع وسائل جديدة للعلم وانتشار المعرفة.

4- حضارة التلغراف والتليفزيون والسينما والإذاعة المسموعة والمرئية: في النصف الأول من القرن العشرين.

5- حضارة الإلكترونات والذرة وغزو الفضاء: والمتمثلة في الأقمار الصناعية وأجهزة الكمبيوتر لتخزين وتحليل واسترجاع المعلومات واستخدامات الذرة وأشعة الليزر في المجالات السلمية ومنها الاتصال.

2) عناصر العملية الاتصالية:

قدم لنا عالم الاجتماع الأمريكي (1902-1978) والذي درس تأثير أجهزة الإعلام على تكوين الرأي العام، **هارولد لاسويل** (Harold Dwight Lasswell) صيغة لتخطيط وتصميم الرسائل الاعلامية قام بإعدادها في العام 1948، هذه الصيغة أصبحت لاحقاً من أساسيات العمل الإعلامي للاتصال مع الجمهور وإيصال الرسائل والمعلومات بالطرق الأفضل لإحداث تأثيرات فعالة.

تتلخص صيغة لاسويل الإعلامية بالجملة:

(Why & Who (says) What (to) Whom (in)What Channel (with) What Effect)
وتعني "من يقول ماذا لمن بأي قناة تواصل وبأي تأثير؟"

وعليه فان عناصر العملية الاتصالية هي كالتالي:

1/ المرسل(المصدر): نقطة بدء العملية الاتصالية، وقد يكون المرسل انسانا أو آلة فتبدأ العملية بإرسال رموز متعددة، وعي الرسالة التي توجه إلى المستقبل.

2/ المستقبل(المرسل إليه): هو الشخص أو الجماعة أو الجمهور الذي توجه إليه الرسالة من المرسل بقصد مشاركتهم في خبرة أو توصيل المعلومات والآراء إليهم أو تعديل سلوكهم أو اتجاهاتهم.

3/ الرسالة: هي مجموعة المعاني التي يرسلها المرسل إلى المستقبل بغية التأثير في سلوكه، والرسالة هي محتوى الاتصال وبالطبع تتعدد أنواع الرسائل بتعدد أنواع الاتصال وغاياته وأطرافه

من شروط الرسالة:

- أن تصمم بحيث تجذب انتباه المستقبل
- الصياغة المناسبة للرسالة بحيث تتلاءم مع قدرة المستقبل على الفهم
- ينبغي أن تصاغ الرسالة بما يتناسب مع وسائل الاتصال المتاحة للمرسل

4/ الوسيلة: هي الواسطة المادية لتوصيل الرموز حاملة المعاني التي تشكل الرسالة، وهناك أنواع عديدة من القنوات.

1. القناة اللفظية: نقل المعاني من رموز صوتية وجها لوجه أو مباشرة.
2. القناة الكتابية: وذلك حين يتم المعلمات كتابة.
3. قنوات تقنية: أشهرها التلفون، التلغراف، الانترفون، التلكس، الراديو والتلفزيون.
4. القنوات التصويرية: الملصقات، كتابات الحائط ولوحات الاعلانات.

5/ رجع الصدى: هو الإجابة يجيب بها المستقبل على الرسالة التي يتلقاها، فمن خلاله يستطيع المصدر أن يفهم ما إذا كان المستقبل قد تلقى الرسالة أصلا أم لا، وان يفهم محتواها وهل احدثت الأثر أو التأثير المطلوب أم لا؟.

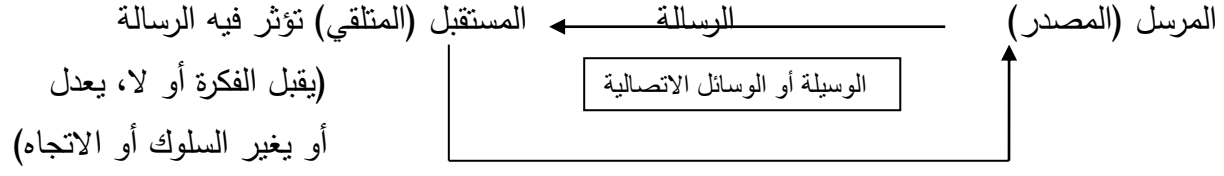

رجع الصدى (يجعل المرسل يغير أو يعدل الرسالة)

3) خصائص الاتصال:

1- عملية هادفة (نقل معلومة، رأي، فكرة ← إحداث اثر في المستقبل)

2- عملية دينامكية (مستمرة)

3- عملية دائرية (المستقبل يصبح مرسل والمرسل يصبح مستقبل)

4- عملية منظمة.

5- عملية متنوعة (اللغة اللفظية: الشفهية أو التحريرية، أو اللغة غير اللفظية: الإشارات، الرموز).

4) وظائف الاتصال:

حددها **هارولد لاسويل** كالتالي:

1- مسح المحيط واستجلائه: جمع ونشر المعلومات لما يقع في المحيط من أحداث، على المستويين الداخلي والخارجي وهي تقارب وظيفة إعلامية (وسائل الإعلام).

2- ربط أجزاء المجتمع من أجل احداث تجاوب موحد إزاء أحداث المحيط أي تفسير المعلومات الواردة من البيئة، تحليلها وتبيان الموقف الذي يجب أن يتخذ استجابة لها.

3- نقل الموروث الاجتماعي ونشره: وظيفة تعليمية تعنى بتأهيل الفرد وتنشئته بما يتوافق مع أهداف المجتمع ومثله وقيمه.

بعد **هارولد لاسويل** جاء التلفاز وما صاحبه من انتشار للمعلومات ظهرت وظيفتين هما الترفيه والإعلان.

5) أشكال الاتصال:

1- الاتصال الذاتي بين الإنسان ونفسه: إدراك الفرد لذاته ولعلاقاته بالعالم المحيط به، ووعيه بخصاله وقدراته بالتالي تحقيق السواء لشخصيته.

2- الاتصال بين الفرد والآخرين: إدراك الفرد لذاته هو أساس اتصاله مع الآخرين ويبدأ الاتصال منذ الطفولة ويتطور بتطور أدواره في الحياة.

3- الاتصال بين الجماعات الاجتماعية: الاتصال أساس لكل العلاقات الاجتماعية مهما كان نوعها.

6) عوائق الاتصال:

هي مجموعة المعوقات التي تشوش وصول الرسالة إلى المستقبل وهي:

✓ **عوائق خاصة بالمرسل:**

- العجز عن التخطيط للعملية الاتصالية(اتصال غير مفهوم).

_ التلاعب بالمعاني والألفاظ من جانب المرسل عن قصد أو غير قصد.

_ عدم قدرة المرسل على التعبير الصحيح واختيار العبارات المفهومة.

_ عدم فهم المرسل للمستقبل.

✓ **عوائق خاصة بالمستقبل:**

_ عدم القدرة على الاصغاء وخاصة لمدة طويلة.

_ المستوى العلمي للمستقبل (عدم القدرة على التحليل والاستنتاج).

_ عدم ملائمة ظروف المستقبل لاستقبال الرسالة (صعوبات نفسية/ مادية).

✓ **عوائق خارجية:**

_ الضوضاء والضجيج لدى المستقبل أو المرسل.

_ الرقابة على الاتصال (الحذف/ الإضافة/ التحفظ).

_ تشويش من قبل أشخاص هدفهم عدم وصول الرسالة.

7) مقومات الاتصال الفعال:

1- حسن الإرسال والاستقبال.

2- إرهاف الحساسية لمشاعر الآخرين، إن حساسية الفرد إزاء حاجات ومشاعر الاخرين فن لأصول العلاقات الانسانية يكتسبه من خلال التفاعلات الاتصالية مع الآخرين.

3- الوضوح المعرفي: نقل واستقبال المعلومات، يجب أن يكون الأفراد المشاركون في العملية الاتصالية واعين معرفيا بكل مكوناتها: وضوح الأهداف/ الأدوار/ الوظائف/ العلاقات.

8) مفاهيم مشابهة للاتصال:

مفهوم الاعلام

✓ **تعريف الاعلام:**

هو القيام بالإرسال أو الإخبار، كما هو بث وإعطاء وتبادل للمعلومات سواء كانت مسموعة أو مرئية بالكلمات والجمل أو بالإشارات والصور والرموز.

عرفه ***عبد اللطيف حمزة:*** "الإعلام هو تزويد الجمهور بالمعلومات الصحيحة أو الحقائق الواضحة".

✓ **خصائص الاعلام:**

1- الإعلام نشاط اتصالي، مقوماته هي: مصدر المعلومات، الرسالة الإعلامية، الوسائل الإعلامية التي تنقل الرسائل، جمهور المتلقين والمستقبلين للرسالة الاعلامية والأثر الاعلامي.

2- يتسم الإعلام بالصدق، الدقة والصراحة وعرض الحقائق الثابتة والأخبار الصحيحة .

3- يستهدف الإعلام الشرح والتبسيط والتوضيح للحقائق والوقائع.

4- تزداد أهمية الإعلام كلما ازداد المجتمع تعقيدا، وتقدمت المدنية وارتفع المستوى التعليمي والثقافي والفكري لأفراد المجتمع.

✓ **أهداف الاعلام:**

1- توفير المعلومات عن الظروف المحيطة بالناس أي الأخبار.

2- نقل التراث الثقافي من جيل إلى جيل والمساعدة على تنشئة الجيل (التثقيف، التعليم، التربية).

3- الترفيه عن الجماهير وتخفيف أعباء الحياة عنهم.

4- مساعدة النظام الاجتماعي وذلك بتحقيق الاجتماع والاتفاق بين أفراد الشعب والأمة الواحدة.

✓ **وظائف الاعلام:**

للإعلام 5 وظائف:

1/ التوجيه وتكوين المواقف والاتجاهات: كلما كانت المادة الاعلامية ملائمة للجمهور لغة ومحتوى كلما كان التأثير كبير.

2/ زيادة الثقافة والمعلومات: من خلال ما تقدمه وسائل الإعلام من أفكار، معلومات، صور، آراء (تثقيف عفوي) / حلقات الإرشاد والتوجيه عبر وسائل الاعلام مثلا للفلاحين (تثقيف مخطط).

3/ الاتصال الاجتماعي والعلاقات البينية: الاتصال الاجتماعي هو الاحتكاك المتبادل بين الأفراد بعضهم مع بعض، وسائل الإعلام تتولى تعميق الصلات الاجتماعية وتنميتها مثلا: صفحات التهاني، الوفيات، الزواج، تعريف الجمهور بالشخصيات السياسية البارزة، الفنية، الأدبية..

4/ الترفيه عن الجمهور وتسليته: ملء أوقات الفراغ عند الجمهور بما هو مسل، ويمكن أيضا توجيه الجمهور بأسلوب الترفيه عبر وسائل الاعلام المختلفة.

5/ الإعلان والدعاية: الإعلان عن السلع والخدمات الجديدة، وجود وظائف شاغرة أو موظفين مستعدين للعمل، إجراء مناقصة... التعريف بما هو جديد وتقديمه للجمهور وعرض فوائده، أسعاره وحسناته بشكل عام.

✓ **الفرق بين الاعلام والاتصال:**

الاتصال	الاعلام
1/ الاتصال واسع وشامل	**1/ هو جزء من العملية الاتصالية**

2/ الاتصال ثنائي الاتجاه: فالاتصال لا يعني مجرد توجيه رسالة بل لابد أن يتلقى المرسل ردا فوريا أو مؤجلا على الرسالة **3/ الغرض من الاتصال هو تحقيق التفاعل أو ما يسمى برجع الصدى يمكن للمستقبل أن يصبح مرسلا في العملية الاتصالية**	**2/ هو أحادي الاتجاه: فالإعلام يعبر عن انتقال المعلومات وفق اتجاه واحد أي من المرسل للمتلقي** **3/ الغرض من الإعلام نشر المعلومات في صيغة مناسبة، إبلاغها للمتلقي**

مفهوم الدعاية

✓ تعريف الدعاية:

ارتبطت الدعاية في أذهان الناس بالكذب والخداع وتزييف الحقائق، وقد عرفها **لينين** بأنها:"الاستخدام العقلاني لحجج الفلسفة والتاريخ والعلم، بغرض التأثير على القلة المتعلمة"، وعلى ذلك فاستخدام الدعاية بالنسبة للعقائدي الشيوعي هو استخدام مرغوب فيه بل ويعبر عن معاني الصدق والأمانة في الدعوة.

كما عرفها معهد الدعاية الأمريكي عام 1937 "الدعاية الاعلامية تعبير عن رأي أو فعل يقوم بإعداده بصورة متعمدة وواعية، أفراد أو مجموعة من الناس بقصد التأثير على آراء وأفعال أفراد أو مجموعات أخرى لأغراض وأهداف تم تحديدها مسبقا".

من جهة أخرى ينظر إلى الدعاية والإعلام على أنهما نظام متصل، أحد طرفيه الإعلام كعملية قائمة على نشر الأخبار والمعلومات والآراء بحيادية وموضوعية، بينما تقع الدعاية في الطرف الآخر كعملية قائمة على التشويه والتدخل وحجب المعلومات والآراء أو تلوينها بحسب أهداف ومصالح الأشخاص والقوى الاجتماعية التي تسيطر على وسائل الإعلام.

الإعلام ⟵ الرسالة الإعلامية ⟶ الدعاية

وحسب مرتن MERTON "الدعاية مجموعة من الرموز التي تؤثر على الرأي أو الاعتقاد أو السلوك وذلك بالنسبة للقضايا غير المتفق عليها في المجتمع".

✓ قواعد الدعاية:

1/ أسلوب التكرار: من خلال تكرار فقرات أو جمل معينة يسهل حفظها وتصديقها من قبل الناس.

2/ أسلوب المبالغة: من خلال إضافة صفات وهمية على المنتج أو الخدمة.

3/ أسلوب التقمص والتماثل والتقليد: من خلال إستخدام أحداث محلية لتوضيح القضية، واستغلال سلامة نية المتلقي بربط واقعه وخبراته ومخاوفه مع ما يتم الدعاية له.

4/ الارتباط الكاذب: مثلا استغلال تعلق الفرد بفنان أو مطرب أو شخصية عامة من أجل الترويج لأفكار معينة.

5/ أسلوب البساطة القابلة للتصديق: التعقيد في الصياغة قد يسبب الملل والعزوف عن متابعة الرسالة الدعائية من خلال شعارات يسهل حفظها.

آلية العملية الدعائية:

الدعائي ← الرسالة الدعائية ← القناة أو القنوات ← الجمهور المستهدف التأثير: اتباع الدعائي: القيام بفعل/ اتباع الرأي أو الموقف

التوقف عن اتباع رأي الآخر

مفهوم الاشاعة:

✓ **تعريف الاشاعة:**

لغة: الشاعة هي الأخبار المنتشرة /// رجل مشياع أي مذياع لا يكتم سرا.

الاشاعة لغة اشتقاق من الفعل "شاع" الشيء يشيع شيوعا ومشاعا ظهر وانتشر، شاع بالشيء أي أذاعه.

تعريف ***تشارلز أندال*** هي "عبارة عن رواية تتناقلها الأفواه دون أن ترتكز على مصدر موثوق يؤكد صحتها".

✓ **العوامل السيكولوجية المسببة لنقل الاشاعة:**

حب الظهور // الرغبة في التأييد العاطفي // التسلية // متابعة الاشاعات // الشهادة

✓ **أهداف الإشاعات:**

1/ تدمير القوى المعنوية وتفتيتها وبث الشقاق وعدم الثقة.

2/ تحطيم وتفتيت معنويات الجبهتين العسكرية والداخلية.

✓ **سمات الإشاعات:**

1/ الايجاز وسهولة التذكر وسهولة النقل والرواية.

2/ القانون الاساسي للشائعات هو "قدرة الاشاعة السارية يتغير تبعا لمدى أهمية الموضوع عند الاشخاص المعنيين تبعا لمقدار الغموض المتعلق بالمساءلة المعينة.

3/ تبدأ الشائعة من ايجاد خبر لا أساس له من الصحة أو تلفيق خبر فيه أثر من الصحة.

4/ تزدهر بالعوز إلى الأخبار وعندما تكون الأخبار في أقصى وفرتها وحينما يرتاب الأفراد في الاخبار.

مفهوم الاعلان:

✓ **تعريف الاعلان:**

الاعلان Advertising هو نشاط اتصالي يهدف للإعلام عن سلعة أو فكرة أو خدمة والترويج لها عبر وسائل الاتصال بالجماهير.

الاعلان التجاري Advertisement رسالة مدفوعة الثمن، محددة المضمون تشغل حيز من وسائل الاعلام بهدف اقناع المستهلك بسلعة معينة.

اذا الاعلان يستخدم في دول المشرق العربي أما الاشهار في دول المغرب العربي يقابلها في الفرنسية Publicité في الانجليزية publicity ومنه الاعلان التجاري هو الاشهار.

تعريف جمعية التسويق الامريكية للإعلان:

" مختلف نواحي النشاط التي تؤدي إلى نشر أو إذاعة الرسائل الاعلانية المرئية أو المسموعة أو المكتوبة على الجمهور بغرض حثه على شراء سلع أو خدمات أو من أجل استمالته إلى التقبل الطيب لأفكار أو أشخاص أو منشآت معلن عنها".

✓ **سلبيات الاعلان:**

من سلبياته أنه:

* يدفع الناس الى المبالغة في الاستهلاك، يحبط الفقراء لان قيمة الاعلانات تضاف لسعر المنتوج.
* يبالغ في نقل المضامين أو يقدم أكاذيب.
* سيطرة المعلنين على وسائل الاعلام من خلال التهديد بحجب اعلاناتهم اذا ما بثت مضامين تضر بمصالحهم.
* رسم صور نمطية تحط من قدر بعض فئات المجتمع (مثال عرض الاشخاص الكبار في السن بصورة العاجزين، المبالغة في عرض المرأة بالتركيز على شكلها).
* دفع الناس للتركيز على الجوانب المادية وإهمال تطوير الذات (غنى النفس، العقل، الاخلاق).

الفروق الاساسية بين الاعلام ، الدعاية، الاشاعة والاعلان:

الإعلام تقديم حقائق ومعلومات بهدف تنوير المتلقي.	**دعاية بيضاء:** أحداث وآراء وروايات قد تكون صحيحة أو خاطئة هدفها توجيه رأي المتلقي نحو سلوك أو فعل معين.	**الإشاعة:** قد تكون صادقة أو كاذبة أو مضخمة الاشاعة دعاية سوداء.	**الإعلان:** الترويج لسلعة أو خدمة من خلال وسائل الاتصال ووسائل الاتصال الجماهيري

	دعاية سوداء: تزييف حقائق لتشويه سمعة شخص أو مؤسسة.		(جرائد اذاعة تلفزيون وسينما

مراحل تطور الاتصال :

الاتصال ظاهرة قديمة لازمت الانسان منذ بداية التاريخ، و هناك عدّة معايير في تاريخ الاتصال، كان يكون التركيزعلى تغير القيم أو البنيات الاجتماعية و الاقتصادية أو تغيّر وسائل الاتصال نفسها ... الخ، و يرى مارشال ماكلوهان أنّ الاتصال تطوّر عبر مراحل تاريخية، كانت فيها تكنولوجيا الاتصال العامل الأساسي في التحوّل من مرحلة إلى أخرى، ومن هنا سميّت نظرة ماكلوهان هذه بنظرية الحتمية التكنولوجية، أي أنّ العامل الاعلامي التقني هو الذي يفسّر أساساً التحوّلات التاريخية في الاتصال و المجالات الأخرى المتأثرة بذلك و كتوضيح أكثر :

– **المرحلة الأولى:**تبدأمن اللغة المنطوقة إلى اكتشاف الكتابة في حدود 3.000 إلى 3.000سنة ق.م، و قد ساد الاتصال الشفوي في هذه المرحلة، و يعتبر ماكلوهان أنّ اكتشاف الكتابة هو ثورة الاتصال الأولى، حيث مكّنت هذه الثورة من ايجاد لغة ثانية : لغة الرموز و التدوين ، التي سمحت فيما بعد بتسجيل الخبرات و التجارب، و اعتماداً على مبدأ التراكم و تطوّر الحضارة الانسانية ، إلاّ أن هذه الثورة كانت محدودة في تأثيرها على المجتمع و التطوّر التاريخي، كون أنّ قلّة منم الناس كانت تجيد هذه اللغة الجديدة ، كما أنّ وسائل انتقالها من مكان لآخر كانت محدودة أو منعدمة، حيث كانت الكتابة و النقوش تتّم على الصخور قبل أن تظهر وسيلة اعتماداً على الجلود و الخشب و أوراق الشجر و أخيراً الورق، و بالتالي كانت هذه الحضارة الأولى مكانية.

– **المرحلة الثانية:** فيها تمّ اكتشاف الطباعة من طرف قوتمبورغ في منتصف الق15، و تعتبر بذلك ثورة الاتصال الثانية، إذ مكّنت المجتمع من الإنتقال من الاتصال الشفوي إلى الاتصال و الثقافة المكتوبة، و قد سمح الاتصال المكتوب من تدوين المعارف السابقة و المستجدة، مما أدى ذلك إلى إحداث التراكم و تدشين بداية الحضارة الغربية، و أشار ماكلوهان إلى أنّ هناك علاقة بين زيادة انتقال المواد المكتوبة و توسع الإ مبراطورية ن و كان من نتائج هذا الإكتشاف ظهور الصحافة و إنتشار التعليم و المعرفة ، الشيء الذي أدى إلى إشراك المجتمع في شتى المجالات الحياتية بطريقة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحضارة الغربية، و اعتبر ماكلوهان اكتشاف الإذاعة و الفيلم في العشرينات من

القرن الماضي و التلفزيون في الخمسينات من نفس القرن امتداد للإنسان، فالاذاعة امتداد لصوت الإنسان و التلفزيون امتداد لبصره، أدّت هذه الوسائل إلى انتقال المجتمع من الاتصال المكتوب إلى الثقافة المسموعة و المرئية، و قد اعتبر ماكلوهان أنّ اكتشاف هذه الوسائل يعتبر تراجعاً في تاريخ الحضارة على اعتبار أن الاتصال المسموع و المرئي يحمل بعض سمات الاتصال الشفوي الذي يميّز المجتمع القديم، ومن جهة أخرى، فقد حوّلت هذه الوسائل و خاصة التلفزيون العالم إلى قرية عالمية إذ تقلّصت عوائق الزمان و المكان إلى أقصى حدّ،

المرحلة الثالثة: و هي مرحلة اكتشاف الحاسوب في الستينات و تعتبر ثورة الاتصال الثالثة، إذ نقلت المجتمع من مرحلة الاتصال المسموع و المرئي إلى الاتصال الالكترونين الذي أعاد النص إلى الاتصال مرّة أخرى، و قد سمّى الباحثون الذي أعقبوا مارشال ماكلوهان هذه المرحلة بالاتصال التفاعلي، إشارة إلى امكانية التعامل المباشر مع الآخر حتى و إن كان هذا الآخر ليس حاضراً مباشرة في هذا الاتصال، و قد تحدّث العديد من الباحثين في الفكر والاجتماع عن الثورة الثالثة و انعكاساتها على البنية الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية، مثل ألفين طوفلر الذي تحدّث عن الموجة الثالثة، و دانيال بال أسهب في تفصيل طبيعة مجتمع ما بعد التصنيع...الخ

لتواصل بين البشر هو ما جعلنا متفردين. فلدينا القدرة على التعبير عن الأفكار المجردة والخواطر والتفكير بشكل جماعي. لقد قادنا التواصل إلى صناعة حضارات من أعظم الحضارات .**فما هو تاريخ التواصل بين البشر؟ وما هي وسائل الاتصال التي ساعدت على تكوين حضارتنا؟ وما أهمية التواصل بين البشر؟**

تاريخ التواصل بين البشر

امتلك الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض الكثير من الأدوات التي استخدمها للسيطرة على الطبيعة؛ ساعدته هذه الأدوات على التطور وسط المملكة الحيوانية؛ ولكن ما جعله متفرداً هو التواصل؛ ولقد كانت أدوات التواصل التي اخترعها الإنسان هي اللغة والموسيقى والفن والكتابة. حيث ساعدت هذه الأدوات مخيلة الإنسان اللامحدودة على التجسيد، كما منحته القدرة على التعبير عما يدور بداخله. هذه الأدوات كانت لها أهمية قصوى في طريقه إلى التقدم والرقي فعبرها استطاع نقل معارفه إلى الأجيال اللاحقة. لكن رغم قوة هذه الأدوات فإن لها جوانب مظلمة. فتلك الأدوات قوية لدرجة قدرتها على تشويه إدراكنا المباشر للواقع. كما أن لها القدرة على تدمير وإفساد شعوب كاملة.

تكمن أهمية التواصل في جعلنا نحن البشر ما نحن عليه اليوم؛ لكن كيف كانت البداية؟ ومن أين بدأ تاريخ التواصل بين البشر؟ وكيف أصبحنا مخلوقات قادرة على الحلم، مخلوقات قادرة على التخيل. التواصل هو ما ميز أبناء جنسنا وأوصلنا إلى العصر الحديث، هكذا ارتبط البشر ببعضهم ووصل صوتهم إلى النجوم.

كانت أهمية التواصل كذلك في تقريب العالم الحديث من خلال الاتصالات اللاسلكية، لكن لسنا وحدنا القادرين على التواصل عبر المسافات فالطيور تستطيع ذلك وكذلك النحل وبعض النباتات التي تستخدم مواداً كيميائية، كل هؤلاء لديهم القدرة على التواصل عبر مسافات لكننا نختلف عنهم في أننا الجنس الوحيد الذي يستطيع التواصل عبر الزمن. حيث نرسل الرسائل من جيل إلى جيل، وننقل خبراتنا إلى أحفادنا كي يتعلموا عن أماكن وطرق عيشنا. لابد أن هناك لحظة تاريخية أدركنا فيها قدرتنا على تصوير أفكارنا ومشاعرنا وأحلامنا ومشاركتها مع الآخرين.

طرق التواصل: كيف بدأت القصة؟

الإنسان البدائي واستخدام اللغة

سنعود في الزمن لنستكشف بعض اللحظات الحاسمة في تاريخ التواصل بين البشر. لحظات النشوء التي غيرت وجه تاريخنا. قبل 26 ألف سنة قبل الميلاد كان العالم الذي يحيا فيه الإنسان فوضوي وغرائبي، لكن قدرتنا على التواصل عبر الصوت سمحت للجنس البشري بالاستمرار. حيث تم توريث المعلومات والخبرات من جيل إلى جيل عبر الإشارات والتجارب ومحاولة حثيثة للشرح والإيضاح. لكن ظهرت في ذلك الوقت وسيلة من وسائل الاتصال أحدثت هذه الوسيلة فارقاً كبيراً في قدرتنا على التواصل وهي الرسم.

الرسم

واحدة من أهم وسائل الاتصال في التاريخ البشري. لحظة فارقة من اللحظات التاريخية التي ستظل محفورة في وجدان البشرية هي تلك اللحظة التي تم فيها الرسم على جدران الكهوف .في الماضي كان التواصل يتطور ببطيء شديد. لكن المثير في الجنس البشري أنه حاول الحصول على المعرفة والمعلومات والمهارات، ليس ذلك فحسب بل يريد نقلها إلى الأجيال اللاحقة عبر استخدامه للرسم على جدران الكهوف. هذه الوسيلة ساعدت الأجيال اللاحقة في اكتساب خبرات وتجارب الأجيال السابقة. حتى استطاعت اللغة أن تحل محلها لتسرع من وتيرة التطور. ومن ثم انتقل تاريخ التواصل إلى مرحلة جديدة.

اللغة

أدخلت اللغة الجنس البشري في طور جديد من أطوار التطور. حيث شرع الناس في تبادل القصص فيما بينهم، كانت القصص تدور حول العلاقات الاجتماعية وكيفية التفاعل مع مجتمعات أخرى. ثم بدأ الخيال البشري ينساب في سلاسة فظهرت الأساطير وتم نقل هذا التراث الثقافي الشفهي من جيل إلى جيل عن طريق الإنشاد والغناء ورواية القصص. وقد سارت هذه الأمور جنباً إلى جنب مع الرسم على جدران الكهوف. هذا الإبداع والتذوق الفني كان تحولاً كبيراً في تاريخ تطور البشرية وتاريخ التواصل بين البشر كذلك. بينما لم تستطع بقية الحيوانات في المملكة أن تستخدم رموزاً فنية لإيصال أفكارها كما فعل الإنسان. وهنا كانت أهمية التواصل في تكوين حضارتنا التي أصبحت من أعظم الحضارات . تظهر العديد من الدراسات أن اختراع الفن قد أعاد حرفياً كتابة أدمغتنا وزاد في المادة الرمادية والبيضاء داخل المخ، وهذا الأمر هو ما زاد من إدراك البشر وجعلهم يفكرون بطريقة أفضل.

الكتابة

إحدى وسائل الاتصال التي غيرت معالم الحضارة الإنسانية. بدأت أشكال الكتاب كلها سواء المسمارية أو الهيروغليفيةبالرموز. هذا مفيد بطريقة أو بأخرى لكنه لا يكف للتعبير عن الأفكار. حيث يمكنك أن ترسم بقرة لتقول لنا كم بقرة تريد أن تبيع؟ لكن لا يمكنك أن تقول أريد أن أبيع ثلاث بقرات واشتري أربع وأبادلها باثنتين إضافيتين مع جاري. لذا أنت مضطر للجوء إلى الكتابة في هذه الحالة.

لقد حولنا التواصل من مجموعة بدائية إلى مجموعة ذكية جداً. حيث أصبحنا قادرين على التعبير عن أفكارنا، وعلى مشاركة مشاعرنا عبر القصص والفنون. اخترعنا الأساطير لنستلهم منها وللتسلية. بينما الدين والفلسفة لنجد تفسيراً لهذا العالم ولموقعنا فيه، ولكن رافقت هبة الفن والكتابة والكلام مشاكل سوء التفاهم والسيطرة لغايات سياسية. وظهرت الدعايات

الإعلامية لخلق صراعات. لقد منحتنا اللغة القوة العجيبة لإدخال أفكارنا إلى أدمغة الناس الآخرين وهذه القوة جعلت حدوث العالم المعاصر ممكناً.

الموسيقى

بالنسبة لأجدادنا كانت اللغة والفنون أدوات تواصل لها قوتها، ولكننا نشرنا معارفنا بطريقة أخرى. لقد نشرنا معارفنا عن طريق الإيقاع والمشاعر. حيث تطورت أدمغتنا بصورة كبيرة جعلتها قادرة على التقاط الأنماط والتكرار. لذا يجتذبنا الإيقاع والقوافي أكثر من أي شيء أخر. لهذا نقلنا قصصنا عبر الأغاني والموسيقى والرقص. حيث تناقلت الأجيال الحكمة في القصائد، ولقرون استخدم الأفارقة الطبول لإرسال رسائلهم إلى مسافات بعيدة وبانتشار المعارف والأفكار عبر الموسيقى أمست الأغاني هي الأسلوب الأهم في تاريخ التواصل.

لقد أعطت الموسيقى عمقاً للتواصل، كما اتسعت إلى آفاق التعبير عن الذات .بينما منحتنا القدرة على إبلاغ ما يتخطى حدود الوصف. وعبر الإيقاع والمشاعر خلقنا لغة عالمية لا تقف في طريق فهمها حدود الزمان والمكان. حيث لا يخلو مجتمعاً بشرياً من الموسيقى. فالموسيقى موجودة في كل حضارة. وهي التي تصل الأرواح معاً، وتعطي صوتاً للمشاعر وعبرها ازدهر تاريخنا الجماعي. لو أردنا الاستماع لسيمفونية بيتهوفن منذ مائة سنة لكان علينا أن نقصد فرقة موسيقية ونستمع لعزفها، وهذا لم يكن متاحاً لكثيرين، ولكن بعد المذياع ومشغلات الأسطوانات تغير كل شيء. حيث أصبح بإمكاننا الاستمتاع بمعزوفات بيتهوفن ونحن جالسين في منازلنا. كما أصبحت الأفلام والكتب والمعارف على اختلافها رهن أصابعنا. بينما مع دخول الانترنت في كل شيء لم يعد هناك حدود لمعارفنا. لكن لبعض المعارف قدسيتها. القرآن الكريم، الفيدا، الإنجيل لهذه النصوص وغيرها قوة الإيمان المذهلة. لكنها اليوم في متناول الجميع لكن الأمر لم كذلك دوماً.

أهمية التواصل بين البشر

تحكم الإنسان في الكوكب في عصر المعلومات

لقد انطلق سباق الآلات الرقمية وبدأت ثورة الاتصالات لكي تمحي حدود المسافة والزمن، ولكن هذه الثورة لم تكن سوى البداية. فمن بين كل الاختراعات التي أسست لحضارتنا المعاصرة كان الإنترنت أهم الإنجازات وهو شبكة معقدة من خوادم ضخمة، وأبراج خلوية، وكابلات ضوئية تمتد في المحيطات. إنه أحد أهم المشاريع في تاريخ البشرية. وهو رمز مهم لرغباتنا في التواصل ولكن متى بدأت ثورة عصر المعلومات.

أهمية التواصل عبر التليجراف

إحدى وسائل الاتصال التي غيرت عالمنا. لقد بدأت ثورة عصر المعلومات بعد اختراع التليجراف الذي ساعد على جمع المعلومات من أرض المعارك التي تبعد آلاف الكيلومترات، وقد بدأ كل ذلك خلال الحرب الأهلية الأمريكية. حيث تم اكتشاف الجذور الأولى للاتصالات اللحظية في أكثر الأفعال البدائية التي تبعدنا عن بعضنا البعض ألا وهي الحرب.

التواصل عبر الانترنت

الآن نعيش في وقت تدفق المعلومات والصور والرسوم والاقتباسات كل تلك المنصات المختلفة. ضع صورة أو مقطع فيديو وسوف ينتشر حول العالم في غضون ثوان. لقد تأقلمنا سريعاً مع تلك التقنيات الجديدة، وهذه الأجهزة الخلوية أصبحت بمثابة امتداد لأذرعنا عبر الانترنت. إنها تعرض لنا الأخبار تبعاً لسلوكنا، وتقوم بتحرير رغباتنا وأوقاتها وكيفيتها، وكل ذلك اعتماداً على نقرات.

هناك صلة مباشرة بين الكلمات الأولى التي تبادلها أول البشر وبين الرسائل السريعة التي نتبادلها عبر الإنترنت .بينما اليوم لدينا رغبة داخلية في التعبير، لدينا رغبة في التواصل، وفي مشاركة المعلومات. الاتصالات كانت مفتاح استمرارنا لأنها نظمت قدرتنا على النجاة. لقد قادت تطورنا. فلم تكن أعقد المنظومات التي غيرت التقنيات الأساسية في عالمنا المعاصر سوى رؤية بعض أهم الكتاب العباقرة الذين كانوا يمتلكون الخيال الغض.

عالمنا هذا يدور أسرع من ذي قبل. وبداية تاريخ التواصل تبتعد بشدة. فبين أول رسم على جدران الكهوف، وبين أول كتاب مطبوع آلاف السنين. لكن فقط مئة عام فصلت بين الهاتف والخلوي. اليوم هناك مواقع التواصل و 140 شخصية لقيادة العالم الحر. تقنيات الاتصال تتطور سريعاً. في الحقيقة من الصعب توقع لحظة يأتي فيها اختراع ثوري جديد.

أهمية التواصل عبر الأقمار الصناعية

الآن لدينا أكثر من 2000 قمر صناعي في مداراتها حول الأرض، وهذا ما يجعل البث التليفزيوني والإذاعي ممكناً. لقد تصور آرثر سي كلارك كاتب الخيال العلمي البريطاني العالم المعاصر قبل أن يصبح حتى حقيقة. فلم يكن هناك أقماراً صناعية، وكل معلوماتنا عن الفضاء شبه بدائية، ومع ذلك رسم سي كلارك مخططات سمحت لنا بزيادة قدرتنا على التواصل. والآن بزغ فجراً جديداً في علم الاتصالات. فنحن البشر دائمو السؤال ونرغب في ادراك ما لا يمكننا رؤيته، ونريد معرفة ماذا يوجد فيما وراء الأفق.

منذ فترة وجيزة كنا عاجزين عن إثبات كواكب أخرى غير تلك الموجودة في مجموعاتنا الشمسية. أما الآن بفضل مهمات الأقمار الصناعية نحن قادرون على تمييز عدة مئات من الكواكب الموجودة في الكون. وقد تم بالفعل إرسال بعض

المركبات إلى نهاية الكون للاستكشاف العلمي. ولكن مهمة هذه المركبات الأصلية كانت حل هذا اللغز. وهو هل هناك وجود لكائنات فضائية أم لا؟ لذا نجد أن هذه المركبات تحمل بعض الرموز والإشارات عن مجتمعنا لعل أحد ما في هذا الكون يراها. بينما نأمل أن تكون الحضارة التي ستراها قادرة على فك رموزها، وأن يقولوا فهمنا تماماً الرسالة التي تريدون إيصالها لنا.

نحن نعيش الآن وسط ثورة وسائل الاتصال وهي ثورة بأهمية بزوغ اللغة، وخلال عقود قصيرة جداً تخطت قدرتنا على التواصل مع بعضنا حدوداً لم يكن الخيال قادراً على وصفها. هذه محطة فارقة في تاريخ مسيرة البشر فوسائل الاتصال منحتنا القوة للتحكم في الواقع، وبها نستطيع تغيير مفاهيم الجماهير نحو الخير أو الشر. بينما من خلال اللغة والفن والموسيقى ومشاركة ما لدينا مع الآخرين. مما يساهم في ارتقاء حضارتنا بأفكار جديدة. لكن ثورة الاتصالات لا تقف عند حد توحيد العالم والتحكم به بل تهدف إلى الخلود أيضاً. بينما سنوصل رسائلنا إلى الأجيال القادمة متخطين المكان والزمان.

المراجع

1. Author: Herman Yeger, (2/25/2015), The evolution of human communication, www.ncbi.nlm.nih.gov, Retrieved: 9/11/2022.

2. Author: Tuan C. Nguyen, (1/31/2021), The Early History of Communication, www.thoughtco.com, Retrieved: 9/11/2022.